

## المحاضرة الرابعة

"اللغة العربية والتعريب العلمي في تونس  
في الحاضر ونظرة إلى المستقبل، قضايا وحلول"

الأستاذ الدكتور أنور الجراية  
رئيس قسم الطب النفسي  
مستشفى الهادي شاكر - تونس

السبت 17 محرم 1418هـ - 24 أيار 1997م



## توطئة:

ازدهر الطب بالبلاد التونسية وبمدينة القيروان في غضون القرن التاسع ، وأشعّ بوساطة أعلام مثل ابن الجزار - وتواصل المشغل لاحقاً بوساطة بعض الأعلام مثل عائلة الصقلي، إلا أنه منذ القرن الخامس عشر تسيّب الأمر نحو الشعوذة. وأعيد بعث الطب بعد الاستعمار الفرنسي ، ولقد ساهم بعض الرواد في بعث الطب من جديد محاولين نشر المعلومات الحديثة بالبلاد التونسية - وفي هذا السياق نجد أسماء بعض الأطباء الذين ساهموا في توعية الشعب ومصالحته مع جذوره التاريخية وتراثه غداة صدمة الاستعمار .

كما نجد من حاول تبليغ المعلومات الحديثة بوساطة لغة الضاد وذلك بهدفين متكاملين: أولهما إثبات قدرة اللغة العربية على شحن وتبليغ العلوم الحديثة والعصرية، والثاني هو تبليغ هذه المعلومة إلى من كانت ثقافته عربية بحتة، وعلى وجه الخصوص إلى خريجي الجامعة الزيتونية آنذاك، ومهما يكن فإن هناك حركة ساهمت في بعث التوعية لدى الشباب التونسي المثقف.

وفي هذا السياق نجد مجلة "المباحث" التي بعثتها ثلّة من أبناء تونس البررة، ومنهم بعض الأطباء النفسانيين كانوا حسّاسين أكثر من غيرهم بقضايا الهوية والنفس، ونجد في صدارة المعربين الدكتورين المغفور لهما الطاهر بن سلطان وهو عميد الأطباء النفسانيين التونسيين سناً والأستاذ الكبير سليم عمار في الجيل الموالي ولنا عودة لأبحاثهما ومحاولاتهما.

كما نجد في الحقول المجاورة من اهتم بمحاولة تبليغ العلوم الحديثة من فيزياء وكيمياء وعلوم طبيعة وذلك بهدف تبليغها إلى طلبة جامعة الزيتونة ممّا ساهم في تحديث وتأهيل برامجها لمواكبة العصور الحديثة.

وفي هذا السياق نجد بعض الأسماء مثل المنجي قوشة وغيره ، والجدير ذكره أن هذه المحاولات تواكب المعركة التحريرية والدفاع عن الهوية التونسية ضدّ مناورات المستعمر الهادفة إلى تعميم الثقافة العربية مع مسخها بالدعاية المغرضة حول أصولها، والهادفة إلى إقناع الشاب التونسي أن نجاحه ومآله الحتمي يتمثل في التطبيع الثقافي الفرنسي وربما اعتناق الجنسيّة الفرنسيّة.

إذ كان التعريب في بداية القرن يوازي عملية الكفاح ضدّ المسخ الثقافي مع الذود على الهوية التونسية في ركائزها العربية الإسلامية ، والحفاظ على جذورنا وأصالتنا، ولعب في هذا السياق التعامل مع الأخوة في المشرق عبر الصحافة ثم بوساطة الإذاعات المشرقية ومنها المصرية دوراً مهماً ، ثم كان التواصل مع هذه البلدان الشقيقة بوساطة مزاولة الدراسة بالجامعات المشرقية كدمشق وبيروت والقاهرة وبغداد ، وكان له دور حاسماً في بعث روح التوعية والشعور بوحدة المصير لدى أبناء البلدان العربية.

### لمحة تاريخية

ترتبط حركة التعريب بالحركة التحريرية ومكافحة الاستعمار - ودون الرجوع إلى تاريخ النضال من أجل استقلال تونس فإننا نكتفي بالإشارة هنا إلى الارتباط الوطيد بين الحركتين ومساهمة العديد من المناضلين في بعث حركة التعريب ، وذلك دعماً للأصالة التونسية علاوة على النزاع بين السلفيين والمستحدثين. ومهما يكن فإن حركة التعريب بدأت في أول المطاف بمحاولة النهوض باللغة العربية وتمكينها من شحن المعلومات الحديثة.

وفي هذا السياق جاءت تيارات التنقيف العلمي من الاختصاصي التونسي وصبوب مواطنه وباللغة العربية ، وتحنلّ هنا بعض المجالات الثقافية مكانة متميزة نخصّ بالذكر مجلة "المباحث" التي ساهم في إصدارها نخبة من الرواد التونسيين ومنهم المغفور له الدكتور الطاهر بن سلطان وهو عميد الأطباء النفسانيين التونسيين سناً كما أسلفنا.

كما ساهم العديد من الأساتذة التونسيين في تعريب مواد اختصاصاتهم كالعلوم الطبيعية مثلاً - وهنا نلاحظ للتاريخ محاولات البعض ومنهم الأستاذ المنجي قوشة الذي نادى بتعريب الكيمياء انطلاقاً من ترجمة التصوّر باللغة الفرنسية ومستعيناً بوزن فعلن للدلالة على العناصر الكيميائية:

من ذلك اشتقاقه لبعض الأسماء

صدأن للأكسجين

موتن للنيتروجين (أداء للفرنسية "آزوت" وهو يعني نازغ الحياة حرفياً)

صفرن لعنصر "الكلور" أو "الكلورين"

إلا أنه وفي حقل الكيمياء العضوية والبيولوجية تأثر إلى حد بعيد بالتسمية التقليدية الفرنسية للمادة وترجمها حرفياً في اشتقاق الاسم العربي من ذلك ألفاظاً مثل الحامض الزبدي (Acide butyrique) والحامض المغزي والمغزوي (Acide caprique caproïque) والحامض النملي (Acide formique).

وهذا عوضاً عن التسمية الدولية والمبنية على الهيكل الكيميائي للمادة المسماة.

إلا أن هذه المحاولات لعبت دوراً تاريخياً مهماً على الصعيدين النفسي والاجتماعي كان أوضحه مقاومة المناورات الاستعمارية من جهة وبعث الثقة في الذات لدى طلبة الجامعة الزيتونة الدارسين بالعربية من جهة أخرى مما يسر لاحقاً ربط الشمل بالالتحاق بالجامعات المدرسة عربياً بالقاهرة أو بدمشق أو ببيروت.

أما محاولات تعريب الطب فيرجع الفضل فيها أساساً إلى زميلنا الأكبر الأستاذ سليم عمار من جامعة تونس ، ويندرج هذا المسار في منظوره ضمن مسار شامل يهدف إلى رد الاعتبار للهوية العربية ، ومقاومة ظاهرة التطبيع الثقافي والمثاقفة الأجنبية مما يؤثر سلباً على سلامة التخاطب وجدواه سيما وأن الطالب قد يقوم بمعادلة فكرية ضمنية مفادها أن الممارسة الطبية المجدية لا تقوم إلا على اللغة الفرنسية والأجنبية، وأن اللغة العربية لا تلعب إلا دوراً هامشياً: فلقد قال بعضهم آنذاك أن العربية لغة الأدب والغزل والشعر لا لغة العلوم.

وبادر الأستاذ سليم عمار سنة 1976 بتقديم محاضراته عربياً بكلية الطب بتونس. ولقد كانت أول محاضرة له حول "الهذيان المزمنة" واستقبلت بأصوات صاخبة بين القادح والمادح- ولقد كان هذا الأستاذ يعرض على الطالب نص المحاضرة عربياً وفرنسياً ويمكنه من أداء الامتحانات بكلا اللغتين.

وواكبه الزميل الفاضل عبدالكريم بالطيب وهو مدرّس جراحة الأعصاب آنذاك بالعاصمة التونسية في تقديم بعض المحاضرات عربياً ، إلا أن التجربة لم تعمّر طويلاً، وذلك أساساً لعدم تواجد خطة واضحة وشاملة تقنن وتخطط بيداغوجياً التعريب وبيداغوجياً التخاطب بصفة أشمل.

ولقد انتهر الزميل سليم عمار فرصة إعادة تدريس شعبة علم النفس بكلية الآداب والإنسانيات بالعاصمة التونسية: فساهم في إرساء التدريس عربياً بالتوازي مع التدريس فرنسياً - ولقد استعان في ذلك ببعض المدرسين الشبان ومنهم خريجو جامعات المشرق بالبلدان الشقيقة.

أما بصفاقس فلقد ساهم زميلنا الأستاذ أحمد ذياب منذ قرابة عشر سنوات بتعريب علم التشريح وذلك بالنسبة للطلبة المبتدئين بالسنة الأولى - واصطدم بصخب المعارضين في صف الزملاء - ومنهم من رماه بثتى التهم. كما أصدر المؤلفات والمعاجم في علم التشريح بثلاث لغات ، وذلك تيسيراً لمسار الطالب وسعياً وراء استيعابه للمعلومات.

ثم غادر هذا الزميل البار حقل التدريس بالجامعة لما اصطدم بسوء فهم بعض الجامعيين وبتغييرات في المناخ المهني وواصل عطاءه عبر التأليف والنشر والمساهمات في النوادي العلمية ، ومن ذلك مشاركته في تأليف "المعجم النفيس" ثلاثي اللغات في ألفاظ الطب النفسي.

وساهمنا بصفاقس في تعريب التدريس بالنسبة لشعب التمريض في محاضرات علم النفس الاجتماعي متوخين أسلوب زميلنا الأستاذ سليم عمار في تقديم الوثيقة الكتابية بكلا اللغتين حسب رغبة الطالب وذلك علاوة عن تدريسنا عربياً بكلية الآداب والإنسانيات بصفاقس لمادة علم النفس التربوي.

إلا أن هاتين التجربتين لم تعمرا طويلاً وتندرج ضمن المساهمات العديدة والرامية إلى إرساء لغة الضاد في منزلتها الطبيعية كلغة تعبير وحياة عند شعوب عديدة وذلك لكل أوجه الحياة بما في ذلك الحياة العلمية والتكنولوجية ، ويشترط هذا المسار إذا ما استهدف الاستمرارية والنجاح أن تعدّ العدة قصد التنسيق بين كافة المساهمين مع التخطيط المحكم وذلك على صعيد العالم العربي بأسره: من ذلك أنّ مؤتمر الأطباء العرب بالقاهرة سنة 1988 نادى في ندوته حول تعريب تدريس الطب بأن تُحدث نواة بدمشق تسهر على تدريب المدرسين بكليات الطب باللغة العربية.

كما نادى بإعداد الخطط للتعريب الشامل وعلى مراحل، لأن التعريب لن ينجح طالما لم تتحد الصفوف حول أهدافه ومناهجه، سيّما في حقل المصطلحات والألفاظن ويكتسي الأمر حساسية خاصة بين مدرسي البلاد المغاربية ومشاريهم فرنسية عموماً ومدرسي المشرق حيث تنصدر المشارب الإنجليزية علاوة على مشارب أوروبية أخرى كالفرنسية والألمانية وغيرها.

كما يكتسي الأمر حدة خاصة في مشكلة تعريب المصطلحات العلمية كلما حاول المُعَرَّب تأدية المدلول اللغوي بشموليته ضمن لغة المنطلق لا مدلوله الفتي والطبي فحسب ، ومن هنا تتأتى الصعوبات بين الجناحين من المعرّبين، مثل الصعوبات والخلافات في تأدية كلمة Depression بلغة الطب النفسي عربياً ، فهناك من ينادي بلفظة "اكتئاب" وهناك من ينادي بلفظة "انهيار" معللاً موقفه بحسن أدائها للمدلول الاقتصادي لكلمة Depression فرنسياً.

وهنا لا بد لنا أن ندعو كل الأطراف إلى نوع من البراغماتية حتى لا نضيع الوقت الثمين في النقاشات.

إذ مهما كانت أهمية كلا الرأيين فلا بد لنا من الإقرار بأننا في وضع لا نحسد عليه، ويجدر بنا التخطيط لتجاوز العقبات دون إضاعة الوقت ولا هدر الطاقات في بعض القضايا التي لا تغدو أن تصبح جزئية مقارنة بالمسار العام.

æÇááå ÇáãæÝþ ááíáíÚ

## التعريب بتونس

### ÊÚÑíÈ ÇáÊÏÑíÓ

المرحلة الابتدائية: معرّبة مع إدخال تدريس اللّغات الأجنبيّة بداية من الثالث الابتدائي: فرنسي وإنجليزي مع الإشارة إلى أن بعض المعاهد الخاصّة تدرّس اللّغات الثّلاث بداية من الأولى الابتدائي.

المرحلة الإعداديّة: تتّجه نيّة المشرّع إلى التعريب الشامل بما في ذلك المواد العلميّة وذلك رغم بعض الصعوبات ومنها تدريب المدرّسين على التعريب وتوفير الوثائق التدريسيّة المعرّبة.

المرحلة الثانويّة: لا تزال هذه المرحلة رهينة اللّغات الأجنبيّة وسوف يبدأ العمل المنظومة الجديدة بعد سنتين إن شاء الله حسب المنظومة الجديدة. أمّا في المنظومة القديمة التي لا تزال معمولاً بها إلى غاية سنتين كما ذكرنا فإن تدريس كلّ المواد العلميّة يتمّ باللغة الفرنسيّة.

الجامعة: شملت عمليّة التعريب بالجامعة، كليّات العلوم الإنسانيّة والآداب من ذلك أن علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والعلوم التربويّة أصبحت كلها معرّبة.

يبقى التساؤل حول بعض الاختصاصات التي تحتاج إلى إحدى اللّغات الأجنبيّة كعلم النفس في مراحلها المتقدمة ، ولقد حاولنا التعاون في هذا المجال مع بعض البلدان الشقيقة إلّا أنّ الفوارق في اللّغات الأجنبيّة المعتمدة تشكّل صعوبة. أمّا كليّات الحقوق: فإنّ النقاش قائم بين أنصار التعريب وأعدائه: من ذلك أن الأمر انتهى إلى تأسيس كليّتين للحقوق بالعاصمة التونسيّة: إحداها تدرّس بالعربية والأخرى بالفرنسية.

أمّا الكليّات الأخرى كسوسة و صفاقس فإنّ التدريس لا يزال مزدوجاً لكن بنسبة كبيرة للغة الفرنسيّة، علماً بأنّ الممارسة الميدانيّة بالمحاكم تتمّ عربياً.

أمّا الشعب العلميّة والفنية كالطب والصيدلة والزراعة والهندسة فإنّ اللّغات الأجنبيّة لا تزال مهيمنة رغم بعض المحاولات في التعريب ، ويستعمل كلّ

المدرسين اللغة الفرنسية إضافة إلى اللغة الإنجليزية المتداولة في الوثائق والمراجع العلمية والمنشورات.

ويرى بعضهم أن التعريب لا يجدي (حسب قولهم) و أن المستقبل يفرض الاستعمال المكثف للغة الإنجليزية.

ولو أن الإطارات الزراعية مثلاً تتفاعل يومياً مع الوثائق الإدارية بالعربية ومع الأعوان من مواطنيهم الناطقين بالعربية.

كليات التربية: لا يوجد بالمنظومة الجامعية التونسية "كلية التربية" بالمفهوم المتداول بالمشرق بل هناك بعض المعاهد الموازية منها:

- معاهد تكوين المعلمين.

- معاهد تكوين الأساتذة بالشعب العلمية من جهة وبالشعب الأدبية من جهة أخرى.

- معهد التكوين المستمر للمربين بالعاصمة مع فروعها الجهوية.

وغالباً ما نجد وضع الكليات متبايناً حسب الاختصاصات: أي أن العلوم الإنسانية والآداب معربة والعلوم الصحيحة والتجريبية لا تزال تدرس بالفرنسية بتونس.

## محاولات التعريب في العلوم والطب

كانت المحاولات الأولى في التعريب منذ بداية هذا القرن بتونس وجاءت على أيدي أولي الإطارات التونسية المتكّونين بالخارج.

ويندرج عملهم هذا ضمن نضال وطني يهدف إلى استرجاع الهوية الوطنية التي استلبها المستعمر وحاول تدنيسها مشوهاً كلّ مقومات الأصالة الوطنية وجلّ المعطيات التاريخية المتعلقة بالبلاد.

واتجهت النّية إلى تطوير برامج التدريس بالجامعة الزيتونية التي كانت آنذاك المؤسسة الجامعية الوطنية الوحيدة بالعاصمة مع فروع جهوية.

من ذلك أنّ المحاولات الأولى استهدفت طلبة الجامعة الزيتونية، وذلك قصد مدّهم بمعطيات علمية حديثة وعصرية تقدم عربياً ، ومن هنا يتم ربط التّحاور وتوحيد الصفوف بين الطّلاب التونسيين علاوة على ردّ الاعتبار للغة الضاد.

فكانت المحاولات بالمدرسة السليمانية بالعاصمة التونسية وهدفت إلى تعريب مبادئ العلوم الصحيحة بوساطة التونسيين.

ونذكر على سبيل المثال : محاولات المنجي قوشة في تعريب الألفاظ في الفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية ، والمغفور له الطاهر بن سلطان في الألفاظ الطبية ويهدف إلى التّثقيف الصحي للمواطن التونسي ، وتمّ المسار هذا قرابة ثلاثين سنة أي بين الأربعينيات والسبعينيات ، وساهمت المجالات الوطنية ومنها مجلة المباحث في بعث روح الثقة في الهوية التونسية ولغة الضاد. هذا علاوة على الترابط الذي حصل بالأخوة في المشرق مع الحصول على الكتب والمنشورات العربية من المشرق ومنها الصحف والمجلات المصرية، كما أنّ الترابط عريق بين مدينة صفاقس والإسكندرية والقدس الشريف ، فهناك الجاليات التونسية بكلّ البلديتين ولا يزال سوق المغاربة قائماً بالإسكندرية ، وساهمت كلّ هذه العوامل في دعم التواصل بين الأشقاء رغم الصعوبات أحياناً.

وبعد استقلال تونس بدأ التعاون الجامعي بين تونس والجامعات الشقيقة بالمشرق ومنها أن خريجي الجامعة الزيتونية واصلوا تكوينهم بالجامعات المصرية والسورية والعراقية واللبنانية ، وطرحت قضية التواصل والتخاطب بين الجامعيين

وقضية توحيد المصطلحات لأن محاولات التعريب المنفردة أدت إلى صعوبات كبرى حول مداليل المصطلحات، مما يعرقل التخاطب والتواصل كما هو معروف، وبعثت هياكل التنسيق المعروفة وساهم فيها بعض الجامعيين التونسيين.

## ÇááíÇæáÇÈ Ýí ÇáØÈ

في منتصف السبعينيات بادر الزميل سليم عمار وهو عميد الأطباء النفسيين الجامعيين، بادر بإلقاء المحاضرات بالعربيّة ، وكانت أول محاضرة له هي: "الهديانات المزمّنة" ، وذلك بالنسبة لطلبة السنة الخامسة من الحلقة العامة من الأطباء، وزامنه الزميل عبدالكريم بن الطيب في جراحة الأعصاب وتواصل المسار بين القدر والمدح.

وقام زميلنا البار سليم عمار بربط الصلة بجلّ الزملاء بالعالم العربي ثم ببعث الجمعية المغاربيّة للطب النفسي وساهم في تعريب تدريس علم النفس بكلية الآداب بالعاصمة، إلا أنّ الصعوبات والمعارضات لعبت دوراً لا يستهان به في هذا المجال لسنوات.

وبعد مضي قرابة عشر سنوات جاء زميلنا أحمد ذياب بصفاقس بتعريب علم التشريح بكلية الطب بصفاقس ودرس هذا العلم مستعيناً ببعض الزملاء من القاهرة، نخص بالذكر منهم الأستاذ توفيق الرخاوي، واصطدم هو الآخر بالصعوبات ممّا أدى به إلى مغادرة الحقل الجامعي مع مواصلة مساره كما هو معروف.

أما فيما يخصنا نحن: فلقد بدأنا بالعمل الميداني، فعربنا أدوات التخاطب مع القضاة ومع المربين: من ذلك أننا عربنا محاضرات الطب النفسي للقضاة وتقارير الاختبارات النفسية الطبية والشرعية، كما قمنا بمسار مواز بالنسبة للأسرة التربوية في محاضرات الصحة النفسيّة للتلميذ اليافع.

وحاولنا كذلك تعريب الوثائق الإدارية الطبية والمراسلات ، ثمّ عربنا دروس علم النفس المجتمعي بالنسبة لطلبة الشعبة الطبائيّة بجامعة صفاقس ، ودرسنا علم النفس التربوي والصحة النفسية بكلية الآداب وبتجاه أساتذة الغد للمعاهد الثانويّة ، كما درسنا وألقينا المحاضرات للأساتذة المتمرسين ضمن حلقات التكوين المستمر.

وكلّ هذا بالعربية طبعاً ، وننشر المقالات بالعربية بالمجلات التونسية وبمجلة "الثقافة النفسية" المتخصصة بببيروت، كما نشرنا المعجم النفيس وهو ثلاثي اللغات ونعتزم لاحقاً تعريب الشهادات الطبية.

## ÕÚæÈÇÈ ÇáÊÚÑíÈ

يجابه مسار تعريب العلوم الطبية سلسلة من الصعوبات لعلّ أهمّها:

- صعوبات ميدانية تتمثل في المصطلحات وتوحيدها وتداولها.
- صعوبات في نفسية بعض المدرسين وبعض الطلبة حول "النقص التكويني للغة الضاد"، وهو موقف استعماري مفاده أن لغة الضاد عاجزة عن تبليغ العلوم الحديثة وذلك بصفة "هيكلية" أو ضمنية إن صح التعبير أي بمعنى أن محاولات تطويرها محكوم عليها بالفشل مسبقاً وبدون ريب ولا شك.
- مشكلات تربوية وميدانية تتمثل في صعوبة التنسيق بين المدرسين في الميادين المرتبطة والمتجاورة حتى يتم التنسيق، إذ لا يعقل أن يعرب علم التشريح وحده مع بقاء علم الفزيولوجيا باللغة الفرنسية مثلاً، أو أن نعرب الطب النفسي ويبقى طب الأعصاب من جهة والطب الشرعي من جهة أخرى يدرّس بالفرنسية، وهكذا...
- صعوبات تتأتى منذ البداية أي منذ مرحلة التكوين العام للطالب ، فمراحل التعليم السابقة كالإعدادي والثانوي لا تمكّن الطالب من الاستيعاب ولا من التعبير القويم عن المقصود وذلك بحكم ضعف الزّاد اللغوي عموماً وفي أوجهه التعبيرية على وجه الخصوص، وهذا ما يدفعنا على التساؤل حول خطة تربوية وتعليمية عربية تجمع كافة البلدان العربية وتضبط مقومات التعليم والتربية في رؤوس أقاليمها بما في ذلك استعمال اللغات الأجنبية حالياً ومستقبلاً، مع تبادل الطلبة والمدرسين بين البلدان حتى يتمّ التلاحم بين أهل الميدان لأنّ الشعور بوحدانية الانتماء يتمّ وينمو في صفوف الجامعات لدى الشباب.
- صعوبات التواصل بين البلدان العربيّة بحكم استعمال اللغات الأجنبية والنشر بهذه اللغات وبمجلات تابعة لبلدان أجنبية.

- قضية المستوى ومواكبة المعلومات الحديثة: ونجيب هنا أنّ جلّ البلدان وفي حقل الطب تدرس الحلقات الأولى بلغة البلاد (السويدية بالسويد مثلاً والهولندية بهولندا) على أن يتم تقديم المعلومات الحديثة والمتطورة باللغة الأجنبية وهي الإنجليزية في غالب الحالات.

### المقترحات والحلول المتصورة

طبعاً إنّ كلّ عربيّ يأمل استعمال اللغة الأم في التخاطب عموماً والتخاطب العلمي على وجه الخصوص، إلا أن الواقع يومياً لم يسمح بعد بذلك. غير أنّ قضية التعريب قطعت أشواطاً لا يستهان بها:

فلقد تمّ الحسم في الأقاويل المغرضة والمدّعيّة باستحالة التعريب وعجز لغة الضاد عن تبليغ المعلومات الحديثة والعلمية ، فلقد جاء تعريب المراحل الابتدائية والثانوية كما جاء تعريب التعليم الجامعي في بعض شعبه على الأقل ، لقد تجاوزنا المرحلة الاستعماريّة حيث كان المستشرق الفرنسي يدرس النحو العربي على طلبته التونسيين باللغة الفرنسية وموصياً إياهم بقراءة مؤلّف عربي صادر بدمشق عن أحد تلاميذه السوريين.

- لقد تمّ تعريب شعب الآداب والعلوم الإنسانية في جلّ البلدان العربيّة.

- كما تمّ تعريب تدريس الحقوق لدى بعض البلدان بينما بقيت بعض البلدان الأخرى في وضع مزدوج.

أرى أنّ تعريب العلوم والتقنيات التجريبية أو الصحيحة كما يقول بعضهم، وهنا نجد المعارضين الكثيرين: فمنهم من يرى أنّ في التعريب هدر طاقات وأنّ مواكبة المستجدات تحتم الانضمام إلى العالم المصنّع مع اعتماد اللغة الإنجليزية للجميع، ويتعلل هؤلاء بصعوبات وأجال النشر للتراجع العربية مما يحتم تفاوتاً زمنياً لتبليغ المعلومة عربياً وفرنسياً وإنجليزياً.

وهذه المسألة تشكّل إحدى حجج مناهضي التعريب وأعدائه ، ودعواهم أنّ عملية التعريب وإن تمت فإنّ جدواها سوف تكون منقوصة إن لم نقل عكسيّة. واقتراحاتنا تتمحور حول ما يلي:

- الدعم والتنسيق بين جهودات المدرسين العرب والجامعات.
  - السهر على بعث نشاط علمي وجامعي عربي على منوال الجامعات الناطقة بالألمانية بين العديد من البلدان.
  - السهر على تكثيف التخاطب بين الجامعات والجامعيين العرب داخل العالم العربي وخارجه حتى لا ننسى عرب المهجر ومساهماتهم.
  - دعم الهوية العربية والنهوض بها لما لها من مزايا عامّة وجمّة ومنها التفاعل الإيجابي مع التعريب.
- فالشعور بالانتماء وبالهوية العربية يشكّل دافعاً هاماً للذود وللدفاع عن مقومات الهوية اللغوية والثقافية.
- كما أنّ هذا الشعور نفسه سوف يدفع أهله إلى الذود على هويتهم ومقاومة التثاقف والتطبيع الأجنبي ومناورات الثقافات المهيمنة.
- وهذا الشعور عينه سوف يمكّن الفرد من استعمال اللغة الأجنبية مثل إحدى أدوات العمل عندما يكون الشخص متأصلاً لغوياً وحضارياً.

## الوسائل

"تكوين العقل السليم في الجسد السليم"

"ومن لم يطلع على الماضي تحنّ عليه تكراره" (بما فيه من هفوات)

لا شك أن الوسائل لدعم التعريب عديدة ويطول الخوض فيها:

ونقدم هنا بعض رؤوس الأقسام:

- دعم المسار التربوي بتكوين رجل الغد تربوياً لا مجرد عملية الشحن بالمعلومات الفنية.
- دعم مقومات الهوية المجتمعية والثقافية لبعث روح التجذّر والانتماء، وهذا لا يتمّ إلاّ عبر النهوض بتدريس اللغات والإنسانيات كالتاريخ والجغرافيا والإنترولوجيا...
- دعم الشعور بالترابط والانتماء بين أبناء العالم العربي عبر وسائل التواصل وذلك خصيصاً بين أجيال الغد من أطفال وشبان وطلبة والسهر على تنسيق البرامج الدراسية في المراحل الأولى بين الدول العربية.
- دعم روح التكامل والتعاون بين الجامعات.
- تشجيع الجامعيين المعربين قولاً ومضموناً وذلك بتمكينهم من القيام بمهامهم دون عراقيل.
- دفع ودعم روح التعاون مع الجامعيين العرب بالمهجر.
- بعث مؤسسات جامعية عربية لا تنتمي إلى دولة واحدة وقد تكون "اقلیمیة" (مغاربية مثلاً) مع السهر على دعوة الجامعيين والباحثين العرب بالمهجر إلى المساهمة في التدريس بها ، وهو أحد النماذج الذي وظفته إسرائيل للنهوض بجامعتها:
- دعم وسائل النشر والترويج والتوزيع العربي.
- الاتفاق على المصطلحات والانضباط في التحرير بها.
- تبادل الطلبة والجامعيين بين الدول العربية.

## قضية دعم الهوية لدى الشباب العربي تغذية شعور الشاب العربي بالانتماء:

مدّه بالزاد التكويني والمعرفي الشافي والكافي دون تجاوز الحد.

- تجنب شحن الأدمغة.
- تجنب إشعاره بأنّ الجيل الأسبق يناور بهدف "مصادرة هويته الناشئة" وهذا ما يشعر به بعض اليافعين لما يلح الكهول عليهم في مدهم بالنصائح وبالتوجيهات.
- عدم إشعار اليافع بأن هويته "موجودة" أو "مسحوقة" من مخططات الكهول لأنه ينشأ آنذاك على التخلّي والانهازام وعدم الشعور بالمسؤولية.
- مساعدة اليافع على التعامل مع الغزو الثقافي المفروض والمتسلط يومياً عليه ممّا يحدث لديه الصراعات العديدة ، ولقد يحسم البعض منها بصفة ارتجالية وعشوائية إذا ما ضايقه الكهل بالتوجيهات الملحة والمحاصرة لهويته - فلقد يلجأ اليافع إلى التطبيع الثقافي الأجنبي هروباً من محاصرة الكهول تربوياً ويقوم بمعادلة بسيطة.
- هوية الأجداد تعني المضايقة
- هوية الشمال والغرب: الإغراء بالتسامح وبالحرية والتحرّر.
- وفي هذا خطر على هوية الأجيال والمجتمعات.
- من الملحوظ أن بعض أبناء إفريقيا يفضلون العودة إلى فرنسا بعد اصطدامهم بمشكلة هويتهم الوطنية على أثر عودتهم لأرض الوطن بعد التخرج الجامعي.

## قضية حياة اللغة العلمية العربية:

كل لغة لا تساهم في الإنتاج العلمي مهددة بالتراجع في حقل المعلومات وعلى هذا الأساس فإنه من الأهمية بمكان أن يعيش المسار التعريبي على أساس الإنتاج العلمي بلغة الضاد.

وقد يكون هذا الإنتاج عن أبحاث ميدانية وغالباً ما يتعلل بعضهم بكلفة البحث العلمي مادياً وبشراً لينادي بعدم جدوى البحث العلمي لا في البلدان العربية ولا بلغتها.

وهذا موقف مغرض ومردود عليه إذ لكل بلاد إمكانيات في الإنتاج العلمي فالبحوث الأساسية تتطلب حقاً أموالاً وعتادات طائلة قد لا تتوفر إلا ببعض المراكز الدولية.

إلا أن البحوث الميدانية العديدة تبقى في متناول بلدانها، مثل البحوث اللغوية والاجتماعية، والبحوث الزراعية المتركزة على مناخ البلاد، والبحوث الطبية والطبيعية البيطرية والصيدلانية ، فقد تُعتمد الدراسات الميدانية فتفيد وتستفيد خصيصاً من ميزات بعض البلدان، فالمساهمة الميدانية التونسية في تدارس بعض الأمراض ميدانياً أصبحت مرموقة ، داء بهجت أو داء العضلات مثلاً- وذلك استناداً إلى المعطيات الميدانية التي أثبتتها هذه الدراسات ومنها ما تم بالتعاون الدولي إلا أن هناك جانباً آخر هو التخاطب العلمي بلغة الضاد وهذا يشترط مساهمة المنتجين في التعريب.

- بعث المراكز البحثية العربية .

- التسهيلات في النشر .

- جلب الباحثين العرب في المهجر إلى المساهمة في البحث والتدريس بالبلاد العربية.

- دعم إمكانيات التواصل والتخاطب عربياً بين الجامعات.

- بعث علاقات التعارف بين الجامعيين.

- نشر دليل للجامعات وللمؤسسات البحثية بالبلاد العربية.
- تبادل الطلبة بين الجامعات.